مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين –١–	الكاتب : د. مأمون مبيض

١–المغادرة ورهبة الدخول

يعايش المسلمون في كل مكان ما يتعرض له إخواننا في فلسطين المحتلة من صنوف الاعتداء على أيدي القوات الإسرائيلية. وشعرت كغيري ولبعض الوقت بالحاجة إلى تقديم العون والمساعدة لإخواننا هناك. وسنحت الفرصة المناسبة لأضع هذه الرغبة حيّز التطبيق عندما دعيت من قبل الهلال الأحمر القطري والفلسطيني للالتحاق بفريق من الاختصاصيين النفسيين للذهاب إلى فلسطين وتدريب بعض العاملين في المجال الصحي في طرق علاج ومساعدة الأطفال المصابين بالصدمات النفسية نتيجة الأحداث هناك. وكم سررت بهذه البعثة لأنها تساعدني على وضع خبرتي في خدمة إخواني في فلسطين.

ودعّت الزوجة وفاء التي حاولت جاهدة أن تخفي بعض قلقها عليّ من هذه الرحلة، ولم تبد إلا التشجيع والدعم، وكذلك الأبناء الثلاثة الذين حاولوا إبداء تشجيعهم لوالدهم وعلى أنه ذاهب في مهمة نبيلة نيابة عنهم جميعا.

وفي مدينة بلفاست حيث أعيش مع أسرتي وأعمل كطبيب نفسي، جلست في مطار المدينة مع صديقي أحمد الذي جاء يودعني في المطار. احتسيت معه بعض القهوة حيث كانت المغادرة مساء يوم رمضاني وبعد الإفطار. الحقيقة أنني كنت جالساً معه إلا أن ذهني وتفكيري لم يستطع الانتظار معي وكان قد سبقني إلى فلسطين. وتذكرت قول شاعر الإسلام إقبال:

أرواحُنا نحو الحجاز تطلّعت كحنين مُغترب إلى الأوطان

إن الطيور وإن قصَصتَ جناحها تسمو بِفطرتها إلى الطيران.

شعرت وكأن الطائرة تتوجه لفلسطين بهدي قوله تعالى:**"إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله "** ومرّت بخاطري كلمات أستاذنا عصام العطار حفظه الله.

تأتي جراح فتثوي في أضالعنا على جراح ولا ننسى فلسطينا

الدين يهتف أن هبوا لنصرتها والقدس تهتف لا تلقى المجيبينا

يميتنا الحزن تفكيراً بحاضرنا ويبعث الغد آمالاً فيحيينا

مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين –١–	الكاتب : د. مأمون مبيض

وفي الطائرة مرّ بي الكثير من الذكريات والأفكار التي حملتها في مخيلتي منذ سنوات طفولتي عما سمي "القضية الفلسطينية". وبدأت أفكار الآثار النفسية للحروب والنزاعات تنتقل في ذهني، وحجم المعاناة التي سأجدها في فلسطين. وبدأت تظهر أمام عيني بعض صور الأطفال والشباب وهم يقفون أمام الدبابات الإسرائيلية الضخمة وليس في يدهم سوى حجارة صغيرة تتمكن منها يدهم الغضّة . وهكذا حتى وصلنا مطار تل أبيب حيث أوقفت على باب الطائرة ما يقارب الساعة لأشرح لموظفي الأمن طبيعة التدريب النفسي للصدمات الذي أتيت من أجله، ومبررا لهم لماذا أحمل على جواز سفري الأوروبي تأشيرة زيارة بلدين عربيين! وكأن الأصل أن لا أزور البلاد العربية، وأنا العربي المنشأ!

وكما أن روحي سبقتني إلى فلسطين، شعرت وكأن جسدي أيضا سبق حقيبتي التي تأخرت يوما آخر عن وصولي لهذه الديار .

كان شعور غريب ينتابني وسيارة الصليب الأحمر تنقلني من المطار إلى مدينة القدس المحتلة. كان الوقت صباحا حيث بدأت المدينة تستيقظ من ليل رمضاني، وبعد أن أتم المسلمون تناول سحورهم لصيام ذلك اليوم .

وبدأت أرى لأول مرة بعض اليهود ممن يسكن القدس. إنك لا تستطيع إلا أن تشعر بأن أهل المدينة كأنهم الغرباء، بينما الغرباء من أقصى الدنيا ، روسيا وأمريكا وغيرهما ، يعيشون فيها وكأنهم أهلها. لا تستطيع إلى أن تشعر بأن شيئا مقدسا طاهرا في هذه الأرض قد طالته يد العبث بالتشويه والدنس .

استلقيت في سرير الفندق لأرتاح قليلا حيث لم أنم في الليلة السابقة منذ أن غادرت مدينة بلفاست. وفجأة وأنا في السرير أحاول دعوة النوم لعيني بالرغم من أن ضوء النهار يتسلل إلى الغرفة من وراء الستارة، فجأة رأيت نفسي تطرح علي السؤال التالي: هل قطعت كل هذه المسافة من أوروبا إلى القدس من أجل النوم؟! لقد نمنا لعهود طويلة، هيا قمّ ولا تضع المزيد من الوقت بالنوم! وشعرت وكأن همس الأقصى في أذني أصبح نداء بصوت عال.

مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين –١–	الكاتب : د. مأمون مبيض

خرجت من الفندق وهو في شارع علي بن أبي طالب، وبيدي خريطة صغيرة لمدينة القدس، وكم سررت عندما علمت بأنني في القدس الشرقية، وبأن المسجد الأقصى غير بعيد عني، ولم يكن عليّ سوى السير في شارع صلاح الدين. ياله من اسم مناسب للطريق الذي سيوصلني لباب المسجد الأقصى .

سرت في شارع صلاح الدين وأنا أنظر إلى الناس من طلاب وطالبات مدارس توجهوا في صباحهم لمدارسهم، وأنظر إلى أصحاب المحلات التجارية يفتحون أبوابها للمشترين الذين يعدون أنفسهم لعيد الفطر بعد ثلاثة أسابيع، أو أنظر إلى البائعات من النساء على قارعة الطريق يبعن الخضار والأعشاب وخاصة النعناع و"الميرمية" التي اشتهر بها الفلسطينيون.

وجدت نفسي أسير بكل يسرّ وطمأنينة وأنا أقترب من سور القدس القديم، وشعرت وكأني ألفت السير في هذا الطريق من قبل. دخلت باب السور وسط ازدحامه بالبائعين الذين ينادون على الزبائن الصائمين لشراء حاجات رمضان .

نزلت درجات الطريق الحجري الضيق المؤدي إلى درب "عقبة درويش" التي تسير حتى باب حطّة، أحد الأبواب الشرقية للمسجد الأقصى. الشيء الوحيد الذي لم يكن طبيعيا هو وجود أربعة جنود إسرائيليين يقفون بأسلحتهم أمام باب حطّة، وإنه لشعور غريب وأنا أمرّ بهؤلاء الجنود الذين لا يمتون لهذا المكان بصلة . دخلت باب حطّة فإذا به بوابة عبر الزمن !

- للحديث بقية -